تنمية الطفل الشامل

كيف تصبح معلماً شمولياً

المحاضرة الحادية عشر

هل خطرت ببالك يوماً الأسئلة التالية :

- **كيف يمكنك تخطيط منهجا يدعم جميع مجالات نمو الطفل؟**
- **ما الذي يعنيه "المنهج الذي يركز على الطفل" أو "المنهج الناشئ" بالنسبة لك كمعلم؟**
- **كيف يمكن للتعليم أن يعكس الإيمان بأهمية اللعب والسعادة والمتعة؟**
- **كيف يمكن لمهنتك كمعلم أن تعكس اللعب والسعادة والمتعة؟**

إذا كان جوابك نعم ، فإن هذه المحاضرة ستساعدك بالإجابة عن أسئلتك.

تساهم الطرق التي يتعلم من خلالها الأطفال في نجاحهم في المدرسة وتؤثر على نموهم وتعلمهم في جميع المجالات الأخرى. إن قدرة الأطفال على استمرار التركيز والاهتمام والمشاركة في الأنشطة تدعم عدد من النتائج الإيجابية ، بما في ذلك النمو المعرفي و النمو اللغوي و النمو الاجتماعي و النمو العاطفي. كما تمكن تلك القدرة الأطفال من اكتساب و تعلم المعلومات والمهارات الجديدة وتحديد وتحقيق الأهداف لأنفسهم. كذلك فإن العديد من خبراء التعلم المبكر يعتبرون طرق التعلم من أهم المجالات في تنمية الطفولة المبكرة. برنامج الهيدستارت (٢٠١٢أ)

تحديد القيم والأولويات في المناهج الدراسية

- **أكدت الأبحاث البيولوجية والنفسية وكذلك ملاحظاتنا والفطرة السليمة على أهمية تعاون أسر الأطفال مع المعلمين في السنوات الأولى من حياة الأطفال.**
- **لذلك ينبغي علينا أن نحرص على ما نقدمه للأطفال على شكل تجارب وكيفية تقديمها لهم أثناء تخطيط المنهج الدراسي للطفل الشامل وكذلك التخطيط لمعرفة أي الدروس أكثر أهمية ، وأيها أقل أهمية؟ على سبيل المثال ، ما هو الأهم، أن يشعر الأطفال بالفرح والحيوية عند التعلم أم أن يتعلموا كيفية الجلوس بهدوء وعدم مقاطعة المعلم؟**
- **إن ذلك لا يعني أن أياً من تلك القيم مستهجناً أو أنه غير جديرٍ بالاهتمام: القضية هنا هي تحديد أي تلك الأهداف يجب أن يحظى بالأولوية. فالمعلم الذي يفضل استخدام نهج تعزيز المرح والحيوية في التدريس ربما يستخدم نهجاً مختلفًا عن المعلم الذي يعتقد أن التركيز على الانتباه يعتبر أمراً حيوياً للنجاح المدرسي.**
- **سنتحدث عن الطرق المختلفة في وضع المناهج التي من شأنها دعم و تعزيز ذوات الأطفال الخمسة و التي تعمل على توسيع فضول الأطفال حول ما يدور من حولهم وتعزز متعتهم في التعلم والمشاركة في المدرسة.**
- **ليس الهدف من هذه الاقتراحات أن تكون بمثابة مخطط ثابت لكيفية لتعليم كل طفل لبقية حياتك التعليمية.**
- **إن استعدادك الدائم لإجراء التجارب والتعلم الشعور بالفضول والإبداع في التعليم على تطوير اساليبك التعليمية الشخصية بشكل مرح.**
- **سنتعرف على هذه الأولويات بشكل منظم للاستفادة منها عند بدئك لمسيرتك المهنية.**

الأولوية الأولى: ممارسة التدريس الهادف:

- يدرك المعلمون الهادفون أهدافهم واستراتيجياتهم التعليمية بمعنى أنهم يسعون دوما لاقتناص اللحظات التعليمية وتقييم الآثار التي يتركونها على الأطفال والأسر والمجتمع التعليمي.
- يلجأ المعلمون الهادفون للاستفادة من المعايير الموضوعة وعمليات التقييم - بدلا من تجاهلها- لتحسين أداء الأطفال والتخطيط الفردي المناسب للمتعلمين الذين يقومون بتقديم الرعاية لهم.
- إن المعلمون الهادفون يتمتعون بحس عالي من المسؤولية ويخصصون وقتاً كبيرا للتفكير بتخطيط للمنهج الدراسي والبيئة التعليمية التي يساعدون على إنشائها والأهم من ذلك ، تخطيط العلاقات التي يرعونها داخل الفصل الدراسي.
- يمكن تحقيق جميع الأهداف المنهجية التي تم اقتراحها في هذا المقررمن خلال تقديم الرعاية والتعليم الهادفين حيث تتمثل هذه الأهداف في دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مع أقرانهم الطبيعين النمو، وإشراك الأسر، وتعزيز نمو ذوات الطفل الخمس ومعايير التعلم والتقييم وتحقيق الأهداف الأكاديمية.

يقول الباحث إبشتاين(٢٠٠٧) في كتاب المعلم الهادف:" اختيار أفضل الاستراتيجيات لتعلم الأطفال الصغار:

[تتمثل مهمة المعلم الهادف في ضمان اكتساب الأطفال الصغار للمعرفة والمهارات التي يحتاجونها للنجاح في المدرسة وفي الحياة بشكل عام. لتحقيق هذه المهمة ، فإن المعلمون الهادفون يحاولون بضميرٍ حي تحقيق كافة مجالات التعلم المبكر الفكرية والاجتماعية العاطفية والبدنية والإبداعية بالعمق و القدر الكافيين. . . بالإضافة لذلك فإنهم لا يهملون تطورهم الشخصي المهني فهم يعتبرون أنفسهم متعلمين مدى الحياة ولا يتوقفون عن دراسة وضع الأطفال في رعايتهم ويواكبون أحدث النظريات والبحوث العلمية الخاصة بنمو الأطفال ويدرسون الآثار المترتبة على ممارساتهم فضلاً عن أنهم متعاونين جداً مع زملائهم في العمل ومع أسر الأطفال لتطبيق تجاربهم و خبراتهم للوصول إلى أفضل مستوى من النمو للأطفال. (ص ٢ ١)].

الأولوية الثانية: دمج الممارسات الملائمة نمائياً (DAP):

- لقد عرفنا الآن بوضوح أن نمو كل طفل يتفرد بطريقة نمو خاصة به
- من المهم تحديد المستوى النمائي لكل طفل حتى يتمكن المعلمون من تعليمه بحسب المستوى الملائم لنموه وإلهامه لمستوى نموٍ أعلى من ذلك بقليل.
- إن استخدام الممارسات الملائمة نمائياً في المنهج يضمن مراعاة و تلبية احتياجات كل طفل بشكل فردي.
- سواء كان الأطفال يعانون من أعاقات جسدية أو من تأخر في النمو أو كانوا موهوبين فكريًا و كذلك سواء كانوا يعانون من زيادة الوزن أو فرط في النشاط ، فالمعلمون قادرون على تقديم التجارب التعليمية التي تلائم اهتماماتهم وقدراتهم وتشجع نموهم على الشكل الأمثل.

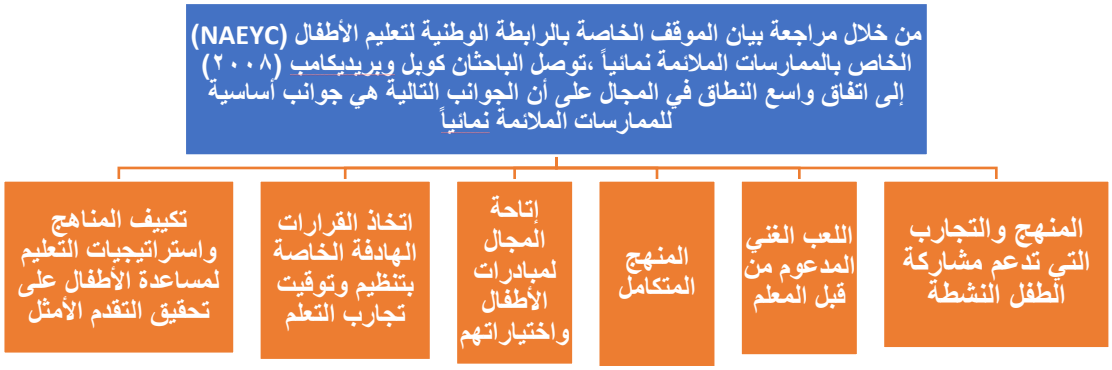

- ✓ تعتبر عملية دعم مشاركة الطفل النشطة هي المفهوم الأساسي للممارسات الملائمة نمائياً وهي أساس المناهج الناشئة التي سيتم مناقشتها بمزيد من التفصيل لاحقاً. فمن خلال وضع المنهج الذي يركز على الأطفال كمشاركين نشطين وليس كمتلقين سلبيين للمعلومات من للبالغين فإننا بذلك نعزز نظرة الأطفال لأنفسهم باعتبارهم قادرين ونشجعهم على اتخاذ مواقف إيجابية تجاه المدرسة وهو أمر مهم جدًا للنجاح الأكاديمي اللاحق.

الأولوية الثالثة: وضع منهج متكامل يدعم ذوات الطفل الشامل الخمس للطفل بأكمله ويعلمه الذكاءات المتعددة:

كان الباحث جون ديوي (١٩١٦) - هو مؤسس حركة التعليم التقدمي(التدريجي) - من أوائل المعلمين الأمريكيين الذين اقترحوا تبني المنهج المتكامل الذي يعتمد على فرضية أن التعلم البشري الطبيعي لا يحدث على أجزاء منفصلة بل يمتد إلى مجالات التعلم المختلفة في نفس الوقت. في هذا النوع من التعلم لا تتم دراسة الموضوعات المنفصلة واحدة تلو الأخرى وإنما يتم دمجها وربطها مع بعضها بشكل هادف حيث يمكن الجمع بين اللغة ومهارات القراءة و الكتابة والدراسات الاجتماعية والموسيقى والفن والرياضيات والعلوم والحركة الجسدية، وغيرها من المواد في أهداف وأنشطة المناهج الدراسية.

كثيرا ما يستخدم معلمو الطفولة المبكرة المناهج المتكاملة. على سبيل المثال ، عندما نقرأ على الأطفال كتابًا يتحدث عن مهارة العد فأننا نعلمهم مهارات القراءة والكتابة و مهارة الاستماع الاجتماعية والإجابة ، ومهارات العد الأساسية والمهارات الفردية. لقد ذكرنا في كتاب "الطفل الشامل" أن هناك خمسة ذوات للطفل وجميع تلك الذوات تسترعي اهتمامًا خاصًا من المعلمين ألا وهي : الذات الجسدية و الذات العاطفية ، الذات الاجتماعية و الذات المعرفية و الذات الإبداعية.

يدعم المنهج المتكامل نظرية عالم النفس الأمريكي هوارد جاردنر للذكاءات المتعددة التي تم تقديمها في الفصل السابق . تنص نظرية الذكاءات المتعددة أن البشر لديهم سبعة أنواع من الذكاء ، وأنه على المعلمين محاولة تعليم هذه الأنواع السبعة للذكاء لجميع الأطفال في كافة جوانب المنهج الدراسي
(Gardner, 1983 , 1999 , 2004)

١. الذكاء اللغوي وهو يتمثل في القدرة على التواصل من خلال اللغة المنطوقة والمكتوبة.
٢. الذكاء الموسيقي وهو يتمثل في القدرة على فهم الموسيقى وعزفها وتأليفها. ويشمل الذكاء الموسيقي الانتباه إلى الأنماط والنغمات والإيقاعات.
٣. الذكاء المنطقي وهو يتمثل في القدرة على استخدام المنطق وتحليل المشاكل وحل العمليات الرياضية ، والقيام بالتجارب والبحث في القضايا بطريقة علمية.
٤. الذكاء المكاني وهو يتمثل في القدرة على الإدراك البصري الدقيق للعالم ، وإجراء تحولات في الإدراك الأولي ، ثم "رؤية" أو اكتشاف الآثار ذهنيًا.
٥. الذكاء الحركي الجسدي وهو يتمثل في القدرة على استخدام الجسم بطريقة متمايزة بمهارة عالية جداً لتحقيق الهدف كما يتمثل في القدرة استخدام الأدوات والقدرات الميكانيكية.

٦. الذكاء الشخصي (الاجتماعي) الذي يتمثل في القدرة على رعاية وفهم الآخرين.
٧. الذكاء الشخصي (الوجداني) الذي يتمثل القدرة على إدراك الذات وفهم العواطف والمخاوف والدوافع فهو عبارة عن إحساسنا بالذات الذي يوجه سلوكنا وعلاقتنا بالعالم من حولنا.

الأولوية الرابعة: البحث عن طرق لتشجيع التعلم النشط الذي يتمحور حول الطفل واستخدام نهج المنهج الناشئ:

ان تشبيه المنهج الدراسي بالبوصلة التي تشير إلى الاتجاه والهدف بدلاً من أن تكون جدولًا محددًا مسبقًا يفيدنا جدا في في النهج الناشئ. في نهاية الأمر فإن هذا المنهج ينشأ و يتطور بشكل تدريجي و لا يمكن تخطيط مواضيعه ومفرداته كاملة بشكل مسبق ولكنه بالتأكيد يتطلب تحديد الاتجاه و الهدف.

إذا نظرنا إلى صورة البوصلة من مسافة بعيدة بعض الشيء فإن ذلك سيوضح لنا – مثلما وضح سابقا العالم لوريس مالاجوزي (١٩٩٢) مؤسس ومهندس مدارس ريجيو إميليا الابتدائية – سبب تفضيلنا استخدام مصطلح المسار بدلا من مصطلح المشروع عند وصف تطور موضوع ما : أن مصطلح المسار ينقل لنا شعوراً بأن هناك رحلة مستمرة بدلاً من وحدة لها نهاية أو هدف مُخطط مسبقًا منذ البداية. عندما يبدا المعلمون والأطفال في استكشاف هذا المسار معًا فإن عملية التعلم تنبثق من خلال التفاعل الاجتماعي والتعاون الذي يحدث بينهم اثناء مسيرتهم .

ونظرًا لأن فكرة النهج التعاوني والتعلم معًا قد اكتسبت زخمًا فقد ازداد الاهتمام أيضًا (فيمراكز ريجيو إميليا وكذلك في الولايات المتحدة) بأعمال الطبيب النفساني الروسي ي ليف فيجوتسكي بسبب تركيزه على أهمية العمل التعاوني بين الطفل وشخص أعلمُ منه . من البديهي هنا أن نتطرق لبعض أفكار فيجوتسكي الرئيسية .

بعض المفاهيم الأساسية لعلم النفس الخاص بالعالم النفساني ليف فيجوتسكي:

ساهم فيجوتسكي خلال حياته القصيرة (حيث كان عمره سبع وثلاثون سنة عندما توفي في عام ١٩٣٤ بسبب إصابته بمرض السل) ببعض الأفكار الثاقبة حول النمو المعرفي وكيفية حدوثه . و ذكر في نظريته أن اللغة والقدرة المعرفية لا تظهر من تلقاء نفسها عندما يمر الطفل في مراحل معينة وإنما تتطور في جزء جرّاء تفاعل الطفل مع الآخرين أو الأقران والبالغين وحتى الرفاق الخياليين أثناء نمو الطفل . كما يوحي عنوان كتابه "العقل في المجتمع" الذي كتبه عام (١٩٧٨) فإن العقل البشري يتطور نتيجة لتأثير المجتمع عليه. وحيث أنه لا يمكن فصل النمو العقلي للطفل عن السياق الاجتماعي الذي يحصل هذا النمو من خلاله فأنه غالبًا ما يتم تسمية هذه النظرية التي تهتم بالنمو العقلي للأطفال بالنظرية الاجتماعية الثقافية أو النظرية الاجتماعية التاريخية. كل هذا يعني أن المجتمع (وتطوره السابق "التاريخي") والثقافة التي يولدها لها تأثير كبير على ما يتعلمه الأطفال والوسائل التي يتعلمون بها.

- ✓ أهم المفاهيم و الأكثر شيوعا التي تحدث عنها فيجوتسكي هو مفهوم منطقة النمو الأقرب (ZPD) التي عرفها فيجوتسكي (١٩٧٨) بأنها المسافة بين مستوى النمو الفعلي [للطفل] الذي ينشأ من حل مشكلة ما بشكل مستقل وبين مستوى التطور المحتمل حدوثه خلال حل المشكلة تحت إشراف الكبار بالتعاون مع أقران الأكثر قدرة "(ص ٨٦).
- ✓ وقد أوضح فيجوتسكي أنه عندما تتم مساعدة الأطفال من قبل شخص أكثر معرفة منهم ، فإنهم يقتربون من الحافة الأبعد لقدرتهم المحتملة.

- ✓ شجع مفهوم منطقة النمو الأقرب المعلمين الذين يسعون جاهدين لممارسة المنهج الناشئ بشكل عملي على البدء أولاً بتقييم قدرات الأطفال الحالية لاعتبارها نقطة الانطلاق
- ✓ ثم طرح الأسئلة والدلالات بالإضافة إلى المساعدة الملموسة حيث يتعاون المعلمون مع الأطفال لتوسيع قدراتهم العقلية إلى حد يتجاوز ما كانوا عليه من قبل.

هناك جانب مهم آخر لنظرية فيجوتسكي بالنسبة لمعلمي الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ألا وهو

- تأكيده على أهمية اللغة المنطوقة كوسيط بين العالم وعقول الأطفال وقدرتهم على التعبير والفهم وقيام الأطفال بشرح ما يعرفونه للآخرين.
- قد افترض فيجوتسكي في نظريته أنه وبفضل استخدام أداة اللغة فإن الأطفال يتمكنون من أنفسهم و يحققون استقلاليتهم و يسيطرون على سلوكهم وتفكيرهم.
- ولا بد أن معظمنا قد سمع الأطفال بعمر السنتين وهم يحاولون استخدام اللغة لتنظيم السلوك الذي يدعم هذا القول. ومن منّا لم يشهد طفلاً في ذلك العمر يقول: " لا! لا! يا طفلي !" بنفس وقت استحواذه على المقص؟ أو من منّا لم يتعامل مع طفل يبلغ من العمر أربعة سنوات وهو يتحدث عن أفعال شخص آخر في صندوق الرمل؟

تعليق المعلم: "إن نظرية فيجوتسكي حول منطقة النمو الأقرب هي نظرية عملية جداً لأنني - في حقيقة الأمر- أستخدمها بشكل يومي. فإذا لاحظت طفلًا يواجه صعوبة في مهمة ما فإنني أطلب منه الاستعانة بصديقٍ أكثر خبرة وتمرساً. وهذا ما أدعوه التطبيق لنظرية النمو الأقرب ! "

تحذير بشأن استخدام اللغة مع الأطفال الصغار

- صحيح أننا نعترف بالأهمية البالغة للغة المنطوقة التي يستخدمها الأطفال ، إلا أنه يجب على المعلمين عدم اعتبارها بديلاً للتجارب العملية .
- ولكي تكتسب اللغة معناها الحقيقي فإنه ينبغي لها أن تكون مرتبطة بالعالم المحسوس ولكي يكون للعالم معنى ، فإنه يجب تشجيع اكتساب الأطفال للغة .

نهج ريجيو ايميليا:

يعتبر نهج ريجيو - الذي تطرقنا إليه في الفصل الأول من هذا الكتاب - منهجاً ناشئ تم استخدامه في المدارس الابتدائية في مدينة ريجيو إميليا الإيطالية منذ ستينيات القرن الماضي . وقد بدأ الأمريكيون يدرسون نهج ريجيو ايميليا منذ إقراره لأول مرة في المؤتمر الوطني للرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغارNAEYC الذي انعقد في أوائل التسعينات من القرن الماضي (حيث تم تقديمه في عرض تقديمي واحد في المؤتمر!). منذ ذلك الوقت ، تم إعلان مدارس ريجيو بصفتها المدارس "الأفضل في العالم" في مجلة نيوزويك ، وقد قام الآلاف من المدرسين بجولات دراسية هناك ، وقد تم حالياً تخصيص مسار كامل خاص بنهج ريجيو ايميليا في المؤتمر السنوي للرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار NAEYC مع أكثر من عشرين عرضًا سنويًا.

قمنا بنقاش منهج ريجيو ايميليا في أجزاء مختلفة من كتاب "الطفل الشامل" ، لكن ذلك النقاش ما هو إلا تذوق بسيط لطريقة التعليم المدروسة والفلسفية و بمجرد أن يتعمق المعلمون بجمال وجاذبية ذلك النظام التعليمي للأطفال الصغار في تلك المدينة ، فإنهم سيستشعرون الرغبة بتقديم أفضل الخبرات التعليمية لأطفالنا في المدن الأمريكية أيضاً. ومن المؤمل أن يسعى المعلمون لاستكشاف نهج ريجيو ايميليا بشكل أكبر أثناء محاولاتهم لتطوير ممارسات التعليم الخاصة به للوصول بها إلى أفضل مستوى. ويعرض الشكل التالي المبادئ الأساسية لنهج ريجيو ايميليا .

الشكل ١٦-١ :المبادئ الأساسية لنهج ريجيو ايميليا

١. صورة الطفل:

يُنظر إلى الأطفال الصغار في هذا النهج على أنهم أقوياء ويتمتعون بالكفاءة وهم فضوليون وتكتنف عقولهم الأفكار والنظريات فضلاً عن أنهم ناشطون في بناء معارفهم الخاصة من خلال التفاعل مع الآخرين.

٢. التعليم القائم على العلاقات:

يتعلم جميع من يتواجد في المدرسة - الأطفال والمعلمين وأولياء الأمور - باستمرار من خلال تفاعلهم مع الآخرين. ولكي تطور النمو و يزدهر، يجب أن يشعر جميع المتعلمين باتصالهم بالآخرين وتحابهم و اهتمامهم ببعضهم البعض.

٣. دور المعلم:

يتمثل دور المعلم بالمدرسة في تغذية وتقوية العلاقات الوثيقة مع الأطفال والأسر. يعمل المعلم بالتعاون مع الأطفال والمعلمين الآخرين والأسر والمجتمع للحصول على التجارب المحفزة طوال اليوم الدراسي وذلك لتشجيع نشاطات التعلم وتنظيمها . كما يسهل المعلمون قدرة الأطفال على تمثيل ما يعرفونه ويتخيلونه.

٤. البيئة كمعلم ثالث:

كذلك يمكن أن تكون البيئة معلما إضافيا من خلال الاستفادة الحكيمة من الفضاء واللون والضوء الطبيعي وعروض عمل الأطفال والاهتمام بالطبيعة والتفاصيل. يشرح ذلك كيف يمكن للأطفال والأسر والمعلمين استخدام الفضاء ويشعرهم بأن وجودهم يقدر ويحترم. تعتبر البيئة هنا بمثابة دعوة للدخول والمشاركة.

٥. مئات اللغات للأطفال:

يستخدم الأطفال العديد من الأشكال المختلفة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم. بالإضافة إلى الكلام ، فهم يعبرون عن أفكارهم باستخدام الرسم و الطلاء و الصلصال والأعمال الخشبية و اللعب و مسرح العرائس والكولاج وما إلى ذلك. هناك مائة طريقة (أو أكثر) من الطرق التي يتحدث بها الأطفال إلينا ومع الآخرين. تدعم المدارس تحدث الأطفال بطلاقة في عدة لغات وذلك من خلال توفير المواد و المراسم (أتيلييه) وتوفير مدرس الرسم في المدرسة لتقديم المشورة والتدريب والتعاون مع الأطفال.

٦. التوثيق:

إن عملية التوثيق في مراكز ريجيو ايميليا ليست مجرد تسجيل كلمات الأطفال ووضعها على لوحة الإعلانات وإنما تذهب لما هو أبعد ذلك .فالغرض من التوثيق هو "جعل التعلم مرئيًا" ، وتسجيل نظريات الأطفال التي يتم التعبير عنها بعدة وسائط ، و لعرض أعمالهم واستخدامها كأساس للمناقشة وكنقطة انطلاق للموضوع التالي من المنهج. يتعاون الفنانون مع معلمي الفصول الدراسية للمساعدة في استكشاف مختلف وسائل التعبير الإبداعية مع الأطفال ولعرض المسار الذي تسلكه العملية التعليمية بطريقة جمالية مريحة.

٧. دور اسر الأطفال:

يشارك ثلاثة أطراف في العملية التعليمية على التساوي وهم: الأطفال والمعلمين وأولياء الأمور. ولأولياء الحق - ويتم تشجيعهم على ذلك - بالمساهمة النشطة في أنشطة أطفالهم ونموهم. كذلك يتعاون أولياء الأمور مع المعلمين في صياغة قرارات المناهج الدراسية وكذلك القرارات الإدارية.

٨. أهمية الوقت:

تهتم المشاريع والمواضيع باهتمامات الأطفال وبتنمية المفاهيم لديهم. ولا تتم المشاريع والأنشطة "دفعة واحدة" وإنما تتطور معتمدة على بعضها الآخر مع مرور الزمن أثناء قيام الأطفال "بمراجعة" أعمالهم وأفكارهم الأصلية لصقلها من خلال التجارب والأنشطة وأشكال التعبير الجديدة. كما أن عامل الوقت مهم جداً في بناء العلاقات التعاونية المستدامة.

٩. الأطفال ذوي الحقوق والاحتياجات الخاصة:

يتم الترحيب بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة كما يتم دمجهم في الفصول الدراسية في مراكز ريجيو ايميليا. ويشار إليهم باسم "الأطفال ذوي الحقوق الخاصة" لأنهم ليسوا بحاجة إلى فعل أي شيء، والأمر متروك للمدرسة لتوفير الرعاية لهم كما يفعلون لجميع الأطفال الآخرين (وهذا يعكس المبدأ الأول من هذه المبادئ و الخاص بصورة الطفل).

١٠. المشاركة المجتمعية:

إن مراكز ريجيو ايميليا للأطفال الرضع والمدارس الابتدائية مفتوحة لجميع الأطفال في البلدة حيث تستخدم الأموال التي يتم تحصيلها من الضرائب لتمويل المدارس الابتدائية. لقد نشأت تلك المدارس نتيجة لاجتماعات البلدة بعد أن دمرت الحرب العالمية الثانية جزءًا كبيرًا من المدينة حيث أراد سكان ريجيو ايميليا التأكد من أن الفاشية والحرب لن تعود إلى بلادهم مجدداً . وقد اعتقد سكان تلك البلدة أن بناء وتمويل التعليم على الشكل الأمثل للأطفال الصغار سيحقق هذا الهدف. يشارك مجتمع ريجيو ايميليا برمته والهيئة الحاكمة في المدينة بشكل كبير في دعم هذه المدارس.

بعض المبادئ الأساسية التي يجب تذكرها عند استخدام المنهج الناشئ:

- **تعزيز قدرة الأطفال على توليد أفكارهم الإبداعية:**
- **عرّف ارمسترونغ (١٩٩٧) الإبداع بأنه: "القدرة على رؤية الأشياء بطرق جديدة وانشاء روابط غير تقليدية" (ص ٣٢) وهذا التعريف ينطبق أيضًا على النشاط المعرفي مثل اللعب واستخدام المواد المعبرة حيث تعتبر القدرة على تجميع التجارب السابقة معًا لربطها بطرق جديدة أمر بالغ الأهمية لتنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال. يمكن أن يؤدي البناء على المعرفة السابقة إلى نتائج ممتعة وغير متوقعة.**
- **كان باول جويلفورد(١٩٨١) أحد الأشخاص الذين ساعدونا على فهم الفرق بين عمليات التفكير التي تكون فيها إجابة واحدة صحيحة وبين عمليات التفكير التي قد تكون فيها العديد من الإجابات صحيحة على نفس السؤال .**
- **واطلق على عمليات التفكير التي تعطي إجابة واحدة غير إبداعية مسمى التفكير المتقارب في حين أطلق على عمليات التفكير الإبداعي الذي يعطي أكثر من إجابة واحدة مسمى التفكير المتباين.**
- **ويمكننا توضيح التفكير المتقارب من خلال أسئلة مثل "ما هو لون هذا الشيء؟" و "هل يمكنك أن تخبرني باسم هذا الشكل؟" و "ماذا علينا فعله قبل عبور الشارع؟ ". لا يعتبر التفكير المتقارب خاطئاً فالأطفال يحتاجون لعددٍ من الحقائق المعروفة في متناول يدهم. لكن التعليم الذي يتوقف عند مستوى إعطاء المعلومات المطلوبة للحقائق لن ينجح في استخلاص أفكار الطفل.**

- **للأسف الشديد ، لا زال الكثير العمليات التعليمية يستخدم نهج التعلم المتقارب الذي يعتمد على إجابة واحد للسؤال. ولكن هذا لا يعني ان ذلك النوع من التعليم يجب أن يستمر لمجرد أنه التعليم الذي كان شائعاً في الماضي. وقد تشجع الأمثلة التالية حول أساليب تحفيز الأطفال على الخروج بأفكارٍ ناشئة المعلمين على تبني طريقة التفكير المتباين مع الأطفال في مجموعاتهم. سيكون الأمر ممتعا للمعلمين و للأطفال للاهتمام إذا تم تقديمه بالطريقة الصحيحة. كل ما يتطلبه الأمر هو الممارسة.**

- **أجعل اهتمامات الأطفال اثناء نمو أفكارهم أساساً لمنهجك:**

- **عندما نتحدث عن وضع المنهج الدراسي بناءاً على اهتمامات الأطفال ، يتبادر سؤال الطالبة السابقة دوما إلى الذهن حين سألت بصدق و يأس: "ولكن ماذا لو لم يكن لدى الأطفال أي أفكار جديدة ؟ ماذا سأفعل عندها؟ ".**
- **الإجابة عن تلك الأسئلة هي أن الأفكار موجودة دائمًا إذا طرح المعلم الأسئلة الصحيحة وانتظر الإجابات عليها من الأطفال واستمع جيداً لهم .**
- **لاحظ في المثال التالي كيف أنه حتى عندما طرح المعلمون الموضوع المحتمل ، استمع المربين في مركز ريجيو ايميليا إلى الأطفال وغيروا الاتجاه وفقًا لاهتمام الأطفال البالغين من العمر ثلاثة سنوات.**

بدأ المعلمون في هذا المشروع الخاص ، الذي وصفه الباحث جامبيتي (١٩٩٣) بحثاً لأنهم اعتقدوا أنه من المهم معرفة كيف ينظر الأطفال البالغون من العمر ثلاثة سنوات إلى الأحداث الموسمية مع التركيز الخاص على أواخر فصل الخريف. بدأ المعلمون البحث بالحديث مع الأطفال وسؤالهم : "ماذا تعني كلمة الموسم بالنسبة لكم ؟" .

عندما استمع المعلمون لإجابات الأطفال ، اتضح لهم أن الأطفال كانوا مهتمين بالغيوم أكثر مما كانوا في المواسم. لذلك ترك المعلمون فكرة المواسم وقرروا الحديث عن الغيوم . بعد مرور بعض الوقت ، تمخضت تجارب عدة عن السحاب بعضها كان من اقتراح المعلمين والبعض الآخر خرج به الأطفال بأنفسهم. وشملت تلك التجارب النظر إلى الغيوم في أوقات مختلفة وملاحظة الصقيع في الصباح وكيف تنتج الغيوم من أنفاس الأطفال وعرض صور الجليد والغيوم على شاشة الظل ورسم الغيوم المملوءة بما يعتقد الأطفال أنه داخلها. وأخيرا قرر الأطفال صنع غيوم "حقيقية" بناءاً على ما تعلموه. جابوا المدرسة بحثًا عن موادٍ يمكن استخدامها تشكيل الغيوم و موادٍ لملئ تلك الغيوم. ضمت تلك المكونات التي يفترض بها أن تمثل قطرات المطر ورقاقات الثلج وكانت تلك المكونات متنوعة مثل الورق إسفين و الدانتيلو الستايروفوم و قطع من المرايا وماء حقيقي. تم تحدي الأطفال خلال البحث (أو استفزازهم حسب العبارة المستخدمة في ريجيو ايميليا) لتكوين فرضيات مختلفة حول الغيوم وكيفية عملها وكذلك لحل بعض المشاكل. على سبيل المثال ، افترضوا وجود شيء ما داخل تلك الغيوم ، وحلوا مسألة كيفية تمثيل هذا المحتوى ودرسوا آليات تعليق الغيوم في الفصل الدراسي "بالقرب من السماء".

تم التسجيل و التصوير الدقيقين لما قاله الأطفال وهم يعملون في هذا المشروع على مدى أيام عديدة. تم تشجيع وتدوين ما توصل إليه الأطفال من استنتاجات وتفسيراتهم لما قاموا به و أسباب قيامهم به ، وتم نقل كل هذه المعلومات إلى لوحات التوثيق للأطفال والمعلمين والأسر لمراجعتها مع تطور المسار

- **تذكر المحافظة على التركيز في المسار-لا تدع المسار يتفرع في عدة اتجاهات:**

صحيح أنه من المستحسن لا بل من الجيد جدًا مراعاة اهتمامات الأطفال إلا أنه ينبغي على المعلم الاستمرار بنفس الاتجاه على المسار الذي بدأه لئلا تضل المجموعة طريقها. فالمعلم هو الشخص الوحيد الذي يمتلك الرؤية الشاملة للغابة وهو الشخص الوحيد الذي لا تغفل عينه عن كل شجرة على حدا.

- **تتزايد أفكار الأطفال إذا أدرك المعلم قيمتها واستجاب لها بشكل إيجابي:**

- ❖ يستطيع المعلم المنفتح الذهن الباحث عن الأفكار والاقتراحات العفوية أن يتماشى مع الاختلافات في النهج والتغييرات التي يطرحها الأطفال بين الحين والآخر.
- ❖ يعزز المعلم الذي يسمح للأطفال بتطبيق أفكارهم هذا السلوك ، والذي بدوره سيغذي موهبة حل المشكلات لدى الأطفال.

كانت هناك طفلة أخرى مستقلة التفكير تبلغ من العمر عامين ونصف العام وكانت ترغب باستخدام الأرجوحة بنفسها. بما أن الطفلة كانت قصيرة و الأرجوحة عالية فقد حاولت وسقطت رافضة المساعدة من أي شخص بشدة. وأخيرًا ركضت بعيدًا وعادت ومعها طوبة مجوفة كبيرة و وضعتها تحت الأرجوحة واستخدمتها بنجاح لتصعد عليها.

- **استخدم اللغة باستمرار مع المزيد من الطرق الملموسة لتجربة الأفكار:**

- ❑ ان اللغة تتمتع بأهمية حقيقية في نمو الأفكار عند الأطفال .
- ❑ يقيم المعلم في مراكز ريجيو ايميليا اللغة بطرق مثيرة للاهتمام تستحق المناقشة هنا، حيث يقوم بالتسجيل الصوتي و المرئي و التقاط الصور الفوتوغرافية لتوثيق تعليقات الأطفال حول الموضوعات. يتم بعد ذلك نسخ هذه التسجيلات بحيث يمكن للموظفين مراجعتها والتحدث عنها معًا - البحث عن أدلة حول ما يعرفه الأطفال وحول المسار التالي الذي قد يسلكه الموضوع
- ❑ صحيح أن عملية النسخ تستغرق وقتًا طويلاً إلا أن لها العديد من الاستخدامات لدرجة أنها تستحق ذلك الجهد الإضافي.
- ❑ ففضلا عن استخدامها من قبل المعلمين للدراسة والبحث فإن بعض المعلمين يلجأ اليها لمراجعة الأحداث والأفكار مع الأطفال مما يسمح للأطفال بمراجعة (إدراك) على ما كانوا يفعلونه وما كانوا يفكرون به.
- ❑ إن النسخ غالبًا ما يصبح جزءًا من لوحات التوثيق التي يتم تجميعها مع استمرار الأبحاث.
- ❑ تقدم لوحات التوثيق والعمليات النسخ إلى جانب السجلات الأخرى أدلة ملموسة على إنجاز الأطفال وهذه الأداة تعتبر مفيدة جداً عند إجراء عمليات التقييم

- **مَكِّن الأطفال من ترجمة أفكارهم إلى تجارب عملية ملموسة:**

- ❑ لا يجب ألا تتوقف المتعة الحقيقية والرضا عن استخدام المنهج الناشئ عند مرحلة تكوّن الفكرة لأن الرضا الحقيقي يكمن في تطبيق الاقتراحات لحل المشكلات
- ❑ وقد يمتد هذا الجانب من التعلم على مدى أسابيع حيث يفكر الأطفال في ما يمكن القيام به ويخضعون أفكارهم لاختبارات التطبيق العملي
- ❑ هنا من المهم الاسترخاء و إعطاء الأطفال متسعاً كافياً من الوقت دون استعجالهم للحصول على أفضل النتائج الممكنة للتجارب العملية.

- **إسمح للأطفال بتجربة الفشل أيضاً:**

- ❑ لا تنجح الأفكار والتجارب الإبداعية دوماً بطبيعة الحال. ولكن إذا كان الوضع آمنًا بشكل معقول ، فيجب السماح للأطفال بتجربة أفكارهم حتى إذا كان الشخص البالغ يعلم مسبقاً أنهم سيفشلون بذلك.
- ❑ للأطفال الحق في الفشل ، كما لهم الحق في النجاح.

- ❑ وينبغي على المعلم الحساس التمتع بموقف هادئاً وواقعياً عند حدوث مثل هذه التجارب الفاشلة وأن يتحدث للأطفال قائلاً على سبيل المثال "أنا آسف لأن الأمر لم ينجح تمامًا ، ولكنه كان يستحق المحاولة"
- ❑ يتعلم الأطفال كثيراً من تجاربهم الفاشلة بقدر ما يمكنهم التعلم من تجاربهم الناجحة. في بعض الأحيان يقوم الأطفال بتعديل الفكرة وتحويلها إلى انتصار لاحق
- ❑ إن ما هو أهم من النجاح هو تعلم قبول تجربة الفشل كجزء من الحياة مع الاستمرار بتجربة الحلول الممكنة الأخرى.

- **تأكد من أن بعض الأطفال يستخدمون إحدى الوسائل التعبيرية لشرح اكتشافاتهم للآخرين:**

- إن أوضح طريقة يستخدمها الأطفال لتوصيل ما تعلموه للآخرين هي من خلال شرحها كما يكتبها المعلم لهم ، ولكن هناك طرق عديدة إضافية للقيام بذلك
- ولا توجد حدود للطرق المختلفة التي يمكن للأطفال من خلالها التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم – أي مئات اللغات للأطفال – كما أن بعض تلك الطرق تمثل أكثر الجوانب إثارة لبرنامج نمو الطفل.
- استخدام الرسوم – الصور – المشاريع- الكتابة –التمثيل –المسرح للتعبير عن خبراتهم واكتشافاتهم للأخرين

● نهج المشروع:

استخدمت المناهج الناشئة في البرامج الأمريكية منذ زمن العالم جون ديوي وبدايات مدرسة بانك ستريت (انظر الفصل الأول من هذا الكتاب). يعمل نهج المشروع على إشغال عقول الأطفال بالدراسات المتعمقة التي تهمهم. يتم تحديد موضوع ما للأطفال ويطلب منهم البحث في هذا الموضوع - عادةً من خلال مجموعات صغيرة - و لفترة طويلة من الزمن(Helm & Beneke, 2003 ; Helm & Katz, 2011 ; Katz & Chard, 2000).

المرحلة الأولى:

يتم تحديد المواضيع القابلة للبحث في المرحلة الأولى من نهج المشروع حيث يمكن أن تكون تلك المواضيع من اقتراح المعلم أو يمكن أن تنبثق من اهتمامات الأطفال. ثم يقوم المعلم - خلال هذه المناقشات - بإنشاء شبكة مع الأطفال حول ما يعرفونه حول الموضوع وحول ما يريدون معرفته عنه و يمكن القيام بذلك من خلال كتابة السؤال التالي على ورقة كبيرة : "ماذا نعرف؟" و "ماذا نريد أن نعرف؟" ثم قم بتدوين أجوبة الأطفال (وإذا اخترت موضوعًا بناءً على اهتمامات الأطفال ، فسيكون هناك الكثير) لتكوين الشبكة (انظر الشكل ١٦-٢). هذه المناقشة ستبدأ المشروع.

المرحلة الثانية:

في المرحلة الثانية ، يقوم المعلم بمراجعة شبكات الأطفال ويربط الأنشطة القادمة بالمهارات والمفاهيم المناسبة والضرورية للأطفال لممارستها. بهذه الطريقة ، يمكن أن تتماشى معايير التعلم مع المناهج الدراسية ، ويمكن للمعلم ضمان أن التجارب التي تم التخطيط لها تتناول نمو الأطفال الشامل. يخطط المعلم والأطفال معًا لتوجيه مسار البحث الذي قد يشمل الرحلات الميدانية وزيارات الخبراء وأشكال البحث الأخرى. يستمر الأطفال بتقديم ما تعلموه طوال فترة البحث من خلال عدة وسائط متنوعة مثل الرسم ، واللعب الدرامي والكتابة والبناء ، وأية لغة من "مئات اللغات للأطفال" حسب ما يسميها المربون في مراكز ريجيو ايميليا.

المرحلة الثالثة:

يساعد المعلم الأطفال على التعبير عما تعلموه في نهاية المشروع. تبع أهمية هذه المرحلة من أن الأطفال ينظرون إلى أنفسهم كمتعلمين و كباحثين في نفس الوقت. وغالبًا ما ينشئ المعلمون شبكة جديدة عن طريق طرح السؤال التالي: "ما

الذي تعلمناه الآن؟" يمكن للأطفال مراجعة شبكاتهم الأصلية ومقارنتها لتحديد مقدار ما اكتسبوه من معلومات. غالبًا ما يتوج المشروع بنشاط كبير وغالبا ما يكون إفادةً أو دعوة الأسر لمشاهدة توثيق الأطفال لأعمالهم. كما يجب أن تنبثق أفكار اختتام المشروع من الأطفال أنفسهم.

الأولوية الخامسة: التركيز على تعليم الأطفال على الاستمتاع بعملية التعلم بقدر تعليمهم للمهارات الأكاديمية

- فكّري لبعض الوقت فيما تعلمته عن نمو الأطفال الصغار وتعلمهم وعن دورك كمعلم لهم.
- إن عمل معلمي الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة عمل قيّم ومستدام. إذا أتقنا عملنا ، فسيتم تقديرنا و سيذكر أعمالنا الأطفال والأسر وزملاء العمل وأفراد المجتمع الذين تتقاطع معهم الحياة التعليمية.
- قد يقوم بعض المعلمين نتيجة التركيز المفرط على التحصيل والاختبار الأكاديميين باستعجال مراحل نمو الأطفال تمامًا مثلما يندفع بعض المعلمون من موضوع إلى آخر وملء اليوم بالمتطلبات بشكل لا غير ملائم للطفل.
- المفيد أن تتوقف وتتنفس بعمق وتفكر في معنى عملية التعليم ونسأل أنفسنا السؤال التالي: ما هي أهدافنا الأساسية للتعليم؟ ما هي أهدافنا كمدرسين ؟
- قدم العالم نودينج مقترحاً ان يتم إدراج السعادة كأحد الأهداف التعليمية الأساسية وقال :["نحن إذ ندمج هذا الهدف في التعليم فإننا لا نساعد طلابنا على فهم مكونات السعادة فحسب و إنما نسعى لجعل الفصول الدراسية أماكن تحقق السعادة للأطفال حقًا" (ص ٣)].
- من النادر اليوم أن نسمع أحداً يتحدث عن السعادة في الخطاب العام حول عملية التعليم. و بسبب زيادة التركيز على التمويل والأداء الأكاديمي ،فقد فُقِدت فكرة التعليم بهدف تحسين نوعية الحياة البشرية وتحقيق السعادة لأفراد المجتمع.

الخلاصة

- ❖ تؤكد الأبحاث البيولوجية حول تطور الدماغ البشري التأثير الأهم لأولياء الأمور والمعلمين على الأطفال الصغار خلال السنوات الأولى من الطفولة.
- ❖ لتحديد أفضل الطرق لتعزيز التعلم ، فإن لا بد من الاهتمام بأولويات ممارسة التعليم الهادف و استخدام الممارسات الملائمة نمائياً من الناحية التنموية و التعليم الموجه لذوات الطفل الخمسة وتشجيع التعلم النشط الذي يركز على الطفل من خلال المناهج الناشئة وإدراج السعادة كهدف في المناهج .
- ❖ تتوافق أفكار فيجوتسكي بشكل سلس مع فلسفة المنهج الناشئ المتمثل في نهج مراكز ريجيو ايميليا ونهج المشروع الذين يشجعان استخدام التفكير الإبداعي المتباين من قبل الأطفال.
- ❖ لتعزيز هذا التفكير فإنه ينبغي على المعلمون تعلم كيفية استخدام الأسئلة المفتوحة التي تحفز الأطفال على التفكير الذاتي.
- ❖ ينبغي على المعلمين طرح بضعة أسئلة فقط في كل مرة وانتظار إجابات الأطفال والاستجابة لأفكارهم بشكل إيجابي وتشجيعهم على إيجاد أكثر من إجابة صحيحة للسؤال الواحد.
- ❖ يساعد نهج المشروع واستخدام الشبكات على تنظيم المناهج الناشئة وضمان تحقيق معايير التعلم وتناول جميع المجالات.
- ❖ أخيرًا ، فقد يكون العنصر الأكثر أهمية عند التفكير في تطوير مناهج التعليم هو تضمين الفرح والسعادة كهدف في تلك المناهج.